

العملية التواصلية في شرح الجمل لابن عصفور

ما بين مقاصد المتكلم وأحوال المخاطب

د. ليلى محمد بايزيد

أستاذ مشارك في قسم اللغة العربية

كلية الآداب / جامعة الملك سعود

المقدمة:

انصبت جهود اللغويين المحدثين في مجملها على دراسة التواصل القائم بين أقطاب العملية التواصلية، بل إن التركيز على التواصل هو أهم ما انمازت به التداولية عن البنيوية والتوليدية، قلم تعد اللغة معزولة عن ملاسقاتها التي تمارس ضمنها، ولا يعني هذا أن اللغويين قبل ذلك لم يتنبهوا إلى أهمية هذا الأمر، بل إن تراثنا العربي يحفل بالكتب التي ازدحمت بأصول تداولية، وأولت عناصر العملية التواصلية اهتمامها، فركزت على مقاصد المتكلم ومراعاة المخاطب في طياتها، وعلى رأسها الكتاب لسبويه، غير أن هذه الوقفات، بقيت مبعثرة، متفرقة، في بطون الكتب، ولم تستو على عودها إلا في العصر الحديث، فتبلورت على يد رومان جاكبسون، من هنا انبثقت فكرة البحث، فوقع اختياري على كتاب شرح الجمل لابن عصفور لما يحمله هذا الكتاب من أهمية بالغة في دراساتنا اللغوية، فجمل الزجاجي الذي قام عليه هذا الشرح من أمات الكتب التي شغلت المشاركة والمغاربة، وصاحب الشرح الكبير ابن عصفور، المشهور بعلمه وإتقانه، وقدرته على تصور ما يحفظه والتعبير عنه¹، وهذا ما دفعني إلى استجلاء أسس التداولية فيه، ولا سيما ما يتعلق بالعملية التواصلية، فاعتمدت المنهج الوصفي التحليلي في الدراسة، فاستقرت هذه المواضيع، واخترت منها ما يفي بالغرض، ويجيب عن مشكلة البحث المتمثلة في بيان مقاصد المتكلم، وتوضيح أحوال المخاطب، وأثرها في اختيار الأساليب أو الأحكام التي تكفل بنجاح العملية التواصلية، وقسمت البحث إلى خمسة أقسام، أولها: يوطئ للبحث بحديث عن العملية التواصلية وعناصرها، ومقاصد المتكلم وأحوال المخاطب. وثانيها: يتحدث عن إعلام المتكلم للمخاطب، وثالثها: يتناول لجوء المتكلم إلى الحذف لعلم المخاطب، ورابعها: يتكلم عن لجوء المتكلم إلى الإبهام على المخاطب، أما الخامس: فأفردته للحديث عن مراعاة المتكلم للأحكام بناء على علم المخاطب أو جهله. وخلصت إلى خاتمة ذكرت فيها أهم النتائج التي توصل إليها البحث.

أولاً- العملية التواصلية وعناصرها:

تستند العملية التواصلية إلى عناصر عدة تسهم في إنجاحها، وأبرز تلك العناصر يتمثل في قطبين أساسيين هما: المتكلم والمخاطب، وقد تعاورت الدراسات اللغوية في إيراد عناصر أخرى يمكن أن تنهض بهذه العملية، من أبرز تلك الدراسات ما جاء به جاكبسون، إذ جعل جوهر العملية التواصلية قائماً على المتكلم والمخاطب والخطاب والمقام والاتصال والسنن، وصرّح أن التواصل اللفظي لا يمكن أن يستغني عنها.²

• المتكلم: هو أصل هذه العملية الذي يصدر عنه الخطاب، وتترتب عليه مسؤولية إيصال المعلومة التي يتوخاها إلى المخاطب ببيان لا يشوبه ما ينعرج بقصدية إلى مصاف لا يتغيهاها، مراعيًا في ذلك أحوال المخاطب، وظروفه المختلفة، وأخذًا بعين النظر ملاسقات العملية التواصلية، فيكون مسؤولاً "عن إعداد وتوجيه المعلومات والمفاهيم أو المهارات أو الاتجاهات التي يحتاجها من يتعامل معه من متلقي (متلقين) في الموقف التواصلية".³

• المخاطب: يتحمل المخاطب أيضًا مسؤولية نجاح عملية التواصل، فهو مشارك في إنتاج الخطاب مشاركة فعالة، وإن لم تكن مباشرة، إذ إن الخطاب ينشأ له، ومن أجله⁴، كما أنه معني بتلقفه، وفك رموزه وفقًا لإطاره المرجعي.⁵

فالمخاطب هدف العملية التواصلية، لذلك يكون حاضرًا " في ذهن المرسل عند إنتاج الخطاب، سواء أكان حضورًا عينيًا، أم استحضارًا ذهنيًا. وهذا الشخص أو الاستحضار للمرسل إليه، هو ما يسهم في حركية الخطاب، بل يسهم في قدرة المرسل التنويعية، ويمنحه أفقًا لممارسة اختيار استراتيجية خطابه⁶

• الخطاب: يعنى به المعلومات التي يريد المتكلم إيصالها إلى المخاطب، وفق "قواعد وقوانين متفق عليها، تشكل بعدًا ماديًا محسوسًا من الأفكار التي يرسلها المرسل وتحيل على المرجع العام المشترك بين المرسل والمرسل إليه⁷، ويمكن القول إن نتائج التفاعلات بين منتجي الخطاب يؤلف بناء لغويًا متعاقدًا، ولا بد لهذا البناء من شروط أهمها: مراعاة أحوال المخاطب، وتحري الدقة والوضوح في بنائه من حيث اللفظ والمعنى⁸، لضمان تحقيق قصيدة المتكلم.

• السياق: وهو ما يحيط بالخطاب من ملابسات وظروف تُعين المتكلم على إنتاج الخطاب، وتعين المخاطب على تأويله، فيشكل السياق إطارًا عامًا يسهم في ترجيح أدوات بعينها واختيار آليات مناسبة لعملية التواصل بين منتجي الخطاب⁹ اللذين يشكلان أهم عناصر السياق.

• القناة: هي الطريقة التي ينتقل عبرها الخطاب في عملية التواصل، من المتكلم إلى المخاطب، ويمكن أن تتخذ عدة صور، فقد تكون سمعية أو مكتوبة، أو غير ذلك، وينبغي للمتكلم أن يتخير الوسيلة المناسبة لتحقيق غرضه الإبلغي، وقد يلجأ بغية ذلك إلى أكثر من وسيلة في آن¹⁰.

• السنن: يستند السنن إلى عدد من الفونيمات والمورفيمات التي تمثل قواعد تأليف خاصة بنظام لغوي محدد، فهو يشكل القواعد اللغوية المشتركة بين المتكلم والمخاطب، التي من شأنها أن تُعين على فهم الخطاب وتفسيره، ويتمظهر السنن على شكل رسالة تنقل أخبارًا بين المتكلمين، فأهم شرط لتحقيق عملية التواصل اللغوي هو تحويل الرسالة المدركة والمحسوسة إلى نظام من العلامات المتفق عليها من الناحيتين التنظيمية والتصنيفية¹¹.

إن كل عنصر من هذه العناصر السابقة تنبثق عنه وظيفة لسانية معينة، إذ إن جوهر التواصل عند جاكسون يتحدد في علاقته بالوظائف الممكنة للغة¹²، فتتفرع بالمتكلم الوظيفة الانفعالية، وبالمخاطب الوظيفة الإلهامية، وبالخطاب الوظيفة المرجعية، وبالقناة الوظيفة الانتباهية، وبالسنن الوظيفة الميتالسانية¹³، " وعلى هذا الأساس لا يمكن تصور فعل تواصل لا يشمل، بهذا القدر أو ذاك، على شحنة انفعالية تشير إلى غاية من الغايات المتعددة للفعل التواصل¹⁴ " كما أنه من الصعب أن تقتصر العملية التواصلية على وظيفة واحدة لكن هناك اختلافات في الهرمية بين هذه الوظائف المتعلقة، ف " تنوع الرسائل لا يكمن في احتكار وظيفة، أو وظيفة أخرى، وإنما يكمن في الاختلافات في الهرمية بين هذه الوظائف¹⁵ ".

- مقاصد المتكلم:

تنبثق إرهافات العملية التواصلية من فكرة المتكلم التي يريد عن قصد ووعي منه أن يوصلها إلى المخاطب، فلو تكلم من غير قصد، مثل: الساهي، أو النائم، فلا يعد ما جاء به كلامًا لخلوه من القصد والإفادة¹⁶، " فالكلام يستمد ثراه الدلالي من قانون القصد المستمد من المتكلم الذي يجعله متحركًا ومؤثرًا في توجيه الخطاب¹⁷ " فيتحصل من ذلك تحقيق المقاصد التي يتغياها المتكلم من وراء كلامه، إذ إنها جوهر العملية التواصلية، وعليها المعول في نجاح التواصل أو عدمه، كما يمكن القول إن وظيفة المقاصد ترتكز على بلورة المعنى وانتخاب الإستراتيجية الخطابية التي تتكفل بنقل القصد بدقة مع مراعاة العناصر السياقية الأخرى، مما يضمن تحقيق التفاعل بين منتجي الخطاب بما يتلاءم مع السياق¹⁸، فالمقاصد تتخطى حدود الصنعة والإعراب وصولاً إلى الوظيفة الإبلغية للكلام حيث يرتبط النحو بسياقاته الاستعمالية¹⁹، ويجدر بالذكر أن الرسالة

الخطابية تتنوع بناء على غاية المتكلم التواصلية التي يسعى إلى تحقيقها، وتسهم هذه الغاية في تحديد الوظيفة النحوية للعبارة أو الجملة، فقد تكون للإخبار أو التوضيح أو التأكيد أو غير ذلك²⁰ مع الأخذ بعين النظر أحوال المخاطب.

- أحوال المخاطب:

لا تقلّ وظيفة المخاطب في العملية التواصلية عن وظيفة المتكلم، فكلاهما يسهم في إيجاد التواصل واستمراره، ولا يمكن للمتكلم أن يتجاهل المخاطب، أو يغض الطرف عن أحواله، ولا يتأتى له أن يستمر في العملية التواصلية من غير أن يكون على دراية بالظروف الاجتماعية والنفسية وغيرها للمخاطب²¹، فالمخاطب حاضر في ذهن المتكلم، حتى وإن كان متخيلاً. وكلما كان هناك توافق بين المتكلم والمخاطب في السياق نجحت العملية التواصلية في تحقيق مقاصدها²². ويتجلى اهتمام المتكلم بأحوال المخاطب في تكهنه بمعرفة ما يقوله، أو جهله به، وإلمامه بملايسات الخطاب، ويترتب على ذلك انتقاؤه للأساليب، وتخيره لتراكيب عباراته، من تقديم أو تأخير أو حذف أو غير ذلك مما يحقق مقاصده من غير توهم أو لبس، يقول الشاوش: "وإذا علمت أن ما يتحكم في الإضمار والإظهار هو علم المخاطب بالمضمر وقيام الدليل في نفسه عليه أدركت ما للمخاطب من دور في الخطاب، فلولا لما كان إضمار ولا حذف ولا استعمال لأي صنف من المبهمات وضروب التعريف²³". وليس الاهتمام بالمخاطب موقوف على الدراسات الحديثة، بل لقد شهد تراثا النحوي منذ سيبويه عناية العلماء البالغة بأحوال المخاطب، فظهر ذلك في توجيهاتهم وتأويلاتهم، "حتى صار بالإمكان القول: إن فكرة "علم المخاطب" تعد أساساً من الأساسيات التي قام عليها البناء النحوي²⁴".

ثانياً - إعلام المخاطب:

لا يمكن للمتكلم أن يلقي كلامه من غير أن يحسب وقعه على المخاطب، فهو يسوقه لمقاصد شتى يتغيها من وراء تعابيره، منها:

1- رفع التوهم:

يأخذ المتكلم على كاهله في العملية التواصلية عبء تبليغ المخاطب مقاصده بدقة، فيلجأ إلى أساليب متنوعة من شأنها إزالة اللبس الذي يمكن أن يعتري الخطاب، ومن أبرز الأساليب التي أوردها ابن عصفور لرفع التوهم عن المخاطب:

أ- التوضيح بالمعهود لإزالة اللبس:

قال ابن عصفور في باب النعت: "وقولي: لإزالة اشتراك عارض في معرفة، مثاله: مررت بزيد الخياط، إذا كان بينك وبين مخاطبك عهد في زدين أحدهما خياط والآخر ليس كذلك²⁵".

يلحظ من النص السابق أن المتكلم لا يمكن له أن يتكلم من غير أن يشرك المخاطب في العملية الاتصالية، فعندما قال: مررت بزيد أدرك أن هناك أكثر من شخص يطلق عليه "زيد"، وبناء على ذلك فإن ذهن مخاطبه سيتوجه إلى هذين الرجلين، وحتى يتلافى هذا اللبس على المخاطب وسم أحد الزيدين بالخياط، لينشط معلومة مخزنة في ذهن المخاطب من شأنها أن تتيح له التفريق بين ذاتين مختلفتين، فيعلم من المقصود في الكلام، فالخياط صفة لزيد انماز بها عن غيره ممن يحملون الاسم عينه، ولجوء المتكلم إلى "أل" العهدية الداخلة على النعت مكّنه من أن يتيح للمخاطب الفصل بين هذين العلمين اللذين اشتركا في الاسم ذاته، ففقت المعرفة يقصد به إزالة الاشتراك العارض في المعرفة، بصفة معهودة بين المتكلم والمخاطب²⁶، و"الألف واللام إشارة يرسلها المتكلم ليحفز ذهن المخاطب للتذكر بعهد مرتبط بالاسم الذي اقترنت به تلك العلامة، فيتذكر صفاته وما عهده عنده حتى ترتسم ماهية ذلك الاسم عنده، فيكون معروفاً لديه²⁷"؛ مما يضمن نجاح عملية التواصل واستمرارها، ولو لم يكن بين المتكلم والمخاطب هذه المعرفة المشتركة التي ارتكز عليها المتكلم في حديثه لحبط التواصل، فجزء كبير من

معاني المفردات والجمل التي يتداولها المتكلم والمخاطب يعتمد على الخبرة المشتركة بينهما²⁸. ويتضح هذا الأمر في موضع آخر من شرح الجمل حيث قال في باب عطف البيان: "وكذلك إذا وقع النعت بغير ما فيه الألف واللام يكون على معنى ما فيه الألف واللام. وإذا قلت: قام زيد صديق عمرو، فكأنك قلت: قام زيد الذي بيني وبينك العهد في صداقته لعمرو.²⁹ فالعهد الذهني القائم بين طرفي الخطاب هو ما سوغ هذا الاستعمال،" لذا يجب على كل مساهم في عملية الخطاب أو التخاطب - سواء كان متكلمًا أو مخاطبًا - أن يمتلك فكرة عن المعارف المشتركة بينهما أو غير المشتركة³⁰ حتى يأمن الوصول إلى قصده من غير أن يشوب ذلك أي لبس.

ب- التبيين بوساطة البديل لإزالة اللبس:

ورد في شرح الجمل في باب البديل "البديل إعلام السامع بمجموعي الاسمين أو الفعلين على جهة البيان أو التأكيد على أن ينوى بالأول منهما الطرح من جهة المعنى لا من جهة اللفظ. فقولنا: إعلام السامع بمجموع الاسمين، مثال ذلك: قام زيد أخوك، ألا ترى أن السامع أعلمته بالقائم بمجموع زيد وأخيك... إذا قلت: قام زيد أخوك، فإنما اعتمدت في الفائدة على الأخ لما دخل اللبس في زيد. فكأنك قلت: قام أخوك، فأضربت عن قولك أولاً: زيد.³¹"

إن محيي المتكلم بالبديل "أخوك" بعد "زيد"، والاعتماد في الفائدة عليه، ما هو إلا مراعاة للمخاطب، إذ إن ذلك أتاح له أن يستند إلى البديل - إضافة إلى المبدل منه - فيعني من المقصود في الكلام، من غير أن يختلط عليه الأمر، فعندما أراد المتكلم إخبار المخاطب بقيام زيد، أدرك أن الاكتفاء بذكر زيد قد يؤدي به إلى أن ينزلق في مزالق اللبس، فربما هذا المسمى ينطبق على أكثر من شخص يعرفه المخاطب، مما يسبب خللاً في إدراك المقصود، لذا اتبعه بالبديل "أخوك" فحرص المتكلم على عدم إيقاع اللبس على السامع كان دافعاً لمحيي البديل في الكلام لكي يكون البديل الوسيلة التي من خلالها يتميز المبدل منه من غيره ممن يشابهونه في اسمه³². "فيكفل بذلك تحقيق مقصده بدقة في الإخبار عن صدر منه فعل القيام.

ج- التوكيد لرفع الشك:

قسّم ابن عصفور التوكيد المعنوي إلى قسمين: قسم يُراد به إزالة الشك عن الحديث، وقسم يُراد به إزالة الشك عن المحدث عنه. "فالذي يراد به إزالة الشك عن الحديث هو التوكيد بالمصدر نحو قولك: مات زيد قتله أي بلغت به القتل، فإذا قال: مات عمرو موتاً، وقتلت زيداً قتلاً، كان الموت والقتل حقيقيين³³."

قصد المتكلم في القول السابق إخبار المخاطب بموت زيد، وقتل عمرو، غير أنه خشي ألا تصل رسالته إلى المخاطب، فيظن أنه تجوّز في القتل والموت، فيضيع مقصده، لذلك لجأ المتكلم إلى التوكيد، "فأساس التأكيد تقدير المتكلم الظن في نفس المخاطب على الحقيقة، والمتكلم يبني كلامه على خطة هي جملة من العمليات الذهنية، وللمخاطب دور أساسي في توجيه هذه الخطة، فهي تقوم على تقدير لما هو حاصل في ذهنه وحساب له وهذا الحساب من عمل المتكلم³⁴." فأكد الفعل بالمصدر لإزالة الشك عن الحديث الذي قد يؤدي إلى اللبس وإحباط المقصد، وهذا يدل على عنايته بالمخاطب، واهتمامه بتلقيه الخبر تلقياً سليماً، فالمخاطب حاضر في ذهنه لحظة إنشاء القول، مما جعله "يراعي مسألة التطور الدلالي للألفاظ ودلالاتها على معناها الحقيقي أو الأساسي، أو دلالتها على معنى مجازي، وتركها دون توكيد قد يولد حيرة في نفس السامع إذ لا يتمكن من إدراك حقيقة المقصود من تلك الألفاظ، فيكون التوكيد فيصلاً يميز من خلاله المعنى الحقيقي الذي أراده المتكلم من تلك الألفاظ³⁵."

د- الاستثناء لرفع التوهم:

من النصوص التي تفيد دفع اللبس عن المخاطب قول ابن عصفور في باب الاستثناء: "وينتصب المستثنى على أنه خبر لهما³⁶، وذلك قولك: قام القوم ليس زيدًا، وقام القوم لا يكون زيدًا، كأنك قلت: قام القوم ليس هو زيدًا، ولا يكون هو زيدًا، أي: ليس بعضهم ولا يكون بعضهم، ويكون الضمير عائداً على الفاعل الذي ينطوي عليه الكلام المتقدم. ألا ترى أنك إذا قلت أو عنيت بذلك قولاً من جملتهم زيد حصل في خلد المخاطب أن بعض القائمين زيد، فتقول: ليس زيدًا، تريد ليس بعضهم زيدًا أيها المخاطب كما توهمت من قولي: قام القوم³⁷."

إن المقصد الذي يتغياه المتكلم هو ما يفرض عليه استخدام أسلوب دون آخر، لذلك لجأ المتكلم في النص السابق إلى الاستثناء، حيث إنه أراد إخبار المخاطب بقيام القوم، فجاء بكلام عام، غير أنه استدرك على نفسه عندما خشي أن يظن المخاطب أن زيدًا ضمن هؤلاء، فسارع إلى إخراجهم من هذا الحكم عبر الأداتين: "ليس" و"لا يكون"، فالاستثناء، "قرينة تدل السامع على مراد المتكلم، وأنه أراد بالقوم غير زيد³⁸" وبهذا أزال اللبس الذي كان من الممكن أن يقع فيه المخاطب، فعندما يتفوه المتكلم بقول ما، يضع نصب عينيه ما يمكن أن يدور في خلد المخاطب لحظة إخباره بالمعلومة، لذلك يحرص كل الحرص على أن تصل هذه المعلومة إليه بدقة من غير أن يشوبها ما يفتت عملية التواصل، وقد صرح سيويه بهذا المعنى فقال: "وذلك قولك: ما أتاني القوم ليس زيدًا، وأتوني لا يكون زيدًا، وما أتاني أحد لا يكون زيدًا، كأنه حين قال: أتوني، صار المخاطب عنده قد وقع في خلده أن بعض الآتين زيد، حتى كأنه قال: بعضهم زيد، فكأنه قال: ليس بعضهم زيدًا³⁹." "فللمتكلم يجري محاكمة سريعة يقدر فيها ما يدور في ذهن المخاطب، ثم يتخير الأسلوب الأمثل لتبليغ المقصد.

هـ- الإضراب لرفع التوهم:

حرص ابن عصفور أشد الحرص على أن يأتي المتكلم في كلامه بأساليب وأدوات ترفع عن المخاطب أدنى توهم، من ذلك قوله في باب البدل: "وبدل النسيان: أن تبدل لفظًا من لفظ بشرط أن يكون ذكر الأول على جهة النسيان، ومثال ذلك أن تقول: مررت بزيد حمار، وذلك أن تكون قد توهمت أن الممرور به زيد، ثم تذكرت بعد أن الممرور به حمار، وأتيت به على جهة البدل، والأحسن في مثل هذا أن تأتي ببل فنشعر بالأضراب عن الأول لئلا يتوهم في ذلك أنك قصدت الصفة ألا ترى أنك إذا قلت: رأيت رجلاً حمارًا أو ثورًا أمكن أن تتوهم أنك رأيت رجلاً جاهلاً أو بليدًا⁴⁰."

فصل ابن عصفور في القول السابق أن يلجأ المتكلم إلى الإضراب عن الاسم السابق بـ "بل" عوضًا عن لجوئه إلى بدل النسيان، حرصًا على سلامة التواصل، وبلوغ المخاطب لمقصد المتكلم من غير إبهام، إذ إن إخبار المخاطب بالمرئي عن طريق البدل في نحو: "رأيت رجلاً حمارًا أو ثورًا"، قد يرافقه تشويش على فهم المخاطب، فيتوهم أن المتكلم أراد المعنى المجازي لكلمتي "حمار" و"ثور"؛ ليحط من قدر زيد، فيسمه بـ "حمار" لغيبائه، أو يسمه بـ "ثور" لبلادته، وبالواقع المقصود لا علاقة له بهذا المعنى على الإطلاق، فكل ما هنالك أن المتكلم أراد أن يقول: إنه رأى -حقيقة- حمارًا أو ثورًا، لكنه نسي أو ربما غلط، فسبقت عن غير قصد إلى لسانه كلمة: "زيدًا" مما قد يسفر عن معنى آخر خلاف المقصود، وحتى لا يقع مثل هذا اللبس، يستحسن استخدام "بل" التي تفيد الإضراب، وتعكس المقصود بدقة متناهية. فلا يختل فهم السامع، ولا يضيع مقصد المتكلم. فالتنوع في الأساليب ما هو إلا مناورات من المتكلم للوصول بالمخاطب إلى مأربه من غير أن تشوبه أي شائبة تعكر الفهم، مما يضمن نجاح التواصل وتوجيهه بالتفاعل على اختلاف درجاته.

2- التأثير في المخاطب:

يحاول المتكلم أن يخلف في المخاطب أثراً يرى فيه صدى حديثه، فيلَوْن في الإستراتيجيات التي يتكئ عليها، نحو استثماره لوحدة معجمية تحمل وظائف تداولية، تفرزها سياقاتها التي يلجأ إليها، من ذلك قول ابن عصفور في باب النعت: "وقولنا: أو ترجم، مثاله: مررت بزيد المسكين، إذا كان زيد معلوماً عند المخاطب، فالنعت إذ ذاك على جهة الترحم والتحنن عليه... واعلم أنه لا يجوز أن يكون النعت للمدح ولا للذم ولا للترحم إلا إذا كان المنعوت معلوماً نحو ما ذكر، أو منزلاً منزلة المعلوم.⁴¹"

صرّح ابن عصفور أن المتكلم لجأ إلى نعت "زيد" المعلوم عند المخاطب، بـ "المسكين" على جهة الترحم والتحنن بغية التأثير في مشاعر المخاطب، وإثارة شففته على المذكور، "والمراد بقصد التأثير ذلك التغيير المنشود في مخزون المعلومات لدى المخاطب إما بالتصحيح أو الإضافة أو انتقاء المعلومات الواردة أو غيره⁴². " فالمتكلم ينتقي معلومة ويضيفها إلى مخزون المخاطب عن وعي منه لتحقيق مقصده، إذ إنه لا يود من المخاطب أن يسمعه فحسب، بل يسعى إلى إنجاز تفاعل معه، فالصفة "المسكين" لم يدرجها لمعناها المعجمي فحسب، وإنما لتهنئ بوظيفة حجاجية⁴³، حيث استثمارها في استمالة المخاطب، وكسب عواطفه، والجدير بالذكر أن هذا المقصد لو لم يكن المعني به "زيد" معلوماً عند المخاطب لفقد معناه، وآل التواصل إلى الفشل، وهنا تتمظهر وظيفة علم المخاطب وأثرها الفعال في نجاح عملية التواصل واستمرارها، فمعرفة المخاطب بزيد، واطمئنان المتكلم إلى ذلك مكنه من إضافة معلومات قصد بها إقبال المخاطب بسمعه وأحاسيسه؛ ليؤدي بذلك فعلاً تأثيرياً.

3- تنبيه المخاطب:

تتقلب حال المخاطب من يقظ إلى ساه، إلى مُعرَض، فطبيعة الإنسان لا تثبت على حال واحدة، وحتى يأمن المتكلم المخاطب مقبلاً عليه، قادراً على بلوغ مقصده يسعى إلى تنبيهه كلما اقتضت الحاجة مستعيناً بطرائق مختلفة، وأساليب متنوعة، وفي المقابل يمكن أن يأتي التنبيه للمخاطب الحاضر ذهنياً، المصغي إلى المتكلم بغية التأكيد، ومن هذه الأساليب التي وردت في شرح الجمل:

أ- تنبيه المخاطب بالتوكيد

قال ابن عصفور " وهذا هو التوكيد الذي يُراد به تمكين المعنى في النفس، وذلك أن القائل: قام زيد، قد يقول ذلك عن غير تحقيق منه، وقد يقول ذلك ويذهل عن سماعه المخاطب، فإذا أكد فقال: قام زيد قام زيد، كان في ذلك محافظة على الكلام في حق المخاطب، وتحقيق لذلك الكلام، وأنه لم يكن عن ظن⁴⁴. "

ليست الغاية من التوكيد الإيضاح وإزالة اللبس فحسب، بل تتلون الغايات وفقاً لما تفرضه ملابسات الموقف الكلامي، من ذلك ما جاء في المقطع السابق حيث برز مقصدان أحدهما يتمثل في تحقيق الكلام، فالمتكلم يُعلم المخاطب بقيام زيد، غير أنه كرر هذه المعلومة ليؤكد للمخاطب أنه يعني ما يقول، وليلفت انتباهه إليها، فلا يمر عليها مرور الكرام، فالتنبيه لا يكون إلا لأمر مهم، إذ قد يترتب على هذا التكرار إنجاز فعل ما، فلعل ذلك ينبئ بانتهاء الزيارة، أو السماح بالتحدث في موضوع لم يجدر بزيد سماعه أو يتطلب من المخاطب الوقوف لتوديع زيد، أو غير ذلك مما يترتب على إخبار المخاطب بقيام زيد وتنبيهه إليه. وثانيهما يتمثل في إيقاظ المخاطب الداهل أو المعرض ولفت نظره إلى ما يُقال، فقد يكون المتكلم ألقى كلامه، لكنه نظر إلى المخاطب فرآه شارد الذهن، أو منشغلاً بأمر آخر، فعمد إلى تكرير العبارة ليجلب انتباهه إلى ما يقول، ويحفزه على التفاعل معه. وكلا الأمرين فيه من الاهتمام بالمخاطب ما فيه، "وجدوى التأكيد أنك إذا كررت فقد قررت المؤكّد

وما علق به في نفس السامع ومكنته في قلبه، وأمطت شبهة ربما خالجه، أو توهمت غفلة وذهاباً عما أنت بصدد فأنزلته⁴⁵. فالتكلم لا ينفك يوم انتباه المخاطب وإقباله؛ إذ إن في ذلك أثراً بالغاً في نفسه "لإيصال ما يريد إبلاغه إلى السامع، ولكي يتيقن أنه وعى ما ذكره بفهم وإدراك... فالتحدث لا يريد سماع المخاطب فقط بل يسعى إلى تحقيق إقباله ليكون وجهاً لوجه معه⁴⁶."

ب- تنبيه المخاطب بالنداء

ومن الأساليب التي أوردها ابن عصفور لتنبيه المخاطب النداء، حيث قال: "النداء دعاء المخاطب ليصغي إليك. وحروف النداء: يا وأيا وهيا وأي والهمزة نحو: أزيد، و"وا"، وزاد الأخفش "آ" الممدودة، و"آي" كذلك، وأما الهمزة فللقريب ولا تستعمل في غيره أصلاً... وما عداها للبعيد مسافة أو حكماً كالنائم والساهي وأمثالهما. وقد يجوز أن تستعمل للقريب تأكيداً⁴⁷."

إن تمحيص النظر في النص السابق يعرب عن أن ابن عصفور حمل "يا" معني النداء والتنبيه، وقد صرح بذلك قبله ابن جني، فقال "يا في النداء تكون تنبيهاً ونداء في نحو يا زيد ويا عبد الله⁴⁸". فأصل النداء تنبيه المخاطب ليقبل على المتكلم⁴⁹؛ إذ إن "الكلام يجري بين متحدث ومخاطب وأن هذا المخاطب ينبغي أن يكون مقبلاً عليه، متنبهاً لما يقوله لأن الكلام لا جدوى منه إن لم يكن له مستمع يعيه ويدرك غايته⁵⁰". وقد بين ابن عصفور أهمية إقبال المخاطب على المتكلم، كما أوضح أن للمتكلم غايات عدة من وراء النداء، وتتلون هذه الغايات وفقاً لحال المخاطب ولمقصد المتكلم، فقد يكون لإصغاء الموجد، أو لإقبال البعيد، أو لإيقاظ النائم، أو لتنبيه الساهي، أو لتأكيد المفاطن، لذلك يعد النداء من الأفعال التوجيهية، فهو يحفز المخاطب لردة فعل تجاه المتكلم⁵¹، ويظهر العلاقة الوثيقة بين المتكلم والمخاطب⁵². وتؤدي فيه المشاهدة وظيفية مهمة، ولا يقتصر الأمر على المسافة فحسب، وإنما يتركز على حال المخاطب ومقصد المتكلم - كما سبقت الإشارة - فحينما يكون المخاطب قريباً لكنه نائم أو ساه، فإن المتكلم يدرك أن الهمزة لا تفي بالغرض فيلجأ إلى "يا" التي تتيح له بوساطة الصائت الذي انتهت به أن يمد صوته فينبه المخاطب⁵³، كذلك قد يكون المخاطب قريباً مصغياً ومع ذلك يلجأ إلى "يا" لأنه يتغيا التأكيد والتنبيه على أن ما يتلو النداء أمر مهم معني به المخاطب، قال صاحب الكشف في هذا المعرض: "فإذا نودي به القريب المفاطن فذلك للتأكيد المؤذن بأن الخطاب الذي يتلوه معني به جداً⁵⁴".

ج- تنبيه المخاطب باسم الإشارة:

بين ابن عصفور أن المتكلم قد يلجأ أحياناً إلى اسم الإشارة بغية تنبيه مخاطبه، فقال في معرض ردّه لمن تساءل عن مجيء اسم الإشارة مبتدأ، وورود ما بعده خبراً له، على الرغم من أن معناه ليس ذلك: "فإن قيل: فكيف جعلتم اسم الإشارة مبتدأ، وما بعده خبراً، وليس المعنى على ذلك؟ فالجواب: إن الكلام إذا ذاك محمول على معناه، فإنك إذا قلت: هذا زيد قائماً، فاللفظ على الإخبار عن المشار إليه بزيد، والكلام محمول على معنى تنبه لزيد، ورب كلام صوره لفظ على خلاف معناه، نحو: غفر الله لزيد، فإن لفظه لفظ الخبر، والمعنى على الدعاء... فكذلك: هذا زيد، لفظه لفظ الإخبار عن هذا بزيد، ومعناه معنى الأمر بالتنبيه إلى زيد في حال ما⁵⁵".

يظهر في النص السابق أن ابن عصفور جعل اسم الإشارة "هذا" أداة يتركز عليها المتكلم بغية لفت نظر المخاطب، وتنبيهه إلى حال زيد الحاضر في الموقف الكلامي، وليس الغرض منها الإشارة إلى زيد، فالمعنى أن المتكلم يريد أن ينبه المخاطب إلى زيد قائماً، لا يريد أن يعرفه زيدا، لظنه أنه يجله، وتكون "ذلك" بمنزلة "هذا" غير أنها تفيد تنبيهه إلى شيء متراخ⁵⁶. وهذا تعليل دخول "ها" على اسم الإشارة لأنه يقع على كل شيء حاضر، فينبه المخاطب بـ "ها" حتى ينظر إلى المتكلم ليعلم إلى

أين يشير؛ لأن اسم الإشارة في الأصل لا بد أن يرافقه إيماء وإشارة من المتكلم إلى الشيء الذي يشير إليه⁵⁷. " فالمخاطب قد يكون ساهياً أو ذاهلاً أو منشغلاً أو ربما مصغياً، وإنما أراد المتكلم أن يشد انتباهه لأهمية الأمر، فلجأ إلى هذا الأسلوب ليتفاعل معه بحسب ما يقتضيه الأمر.

ثالثاً- الحذف لعلم المخاطب:

يمكن للمتكلم أن يستكين إلى علم المخاطب -إن أمن ذلك وتيقن- فيحذف من الكلام ما لا يجد به حاجة، وله أن يحذف لما رآه أخرى اجتهد العلماء في محاولة حصرها وتبيين أغراضها⁵⁸، فالمتكلم هو المتحكم في العملية التواصلية، وهو الذي يدير دفتها بحسب ما يلائم مقتضيات السياق، وقد ورد الحذف في مواطن عدة من شرح الجمل منها:

أ- الحذف في الترخيم:

قال ابن عصفور " واعلم أنك إذا وصفت المرخم فقلت: يا مال بن فلان، فمنهم من زعم أنه على نية النداء ولا يجوز عنده أن يوصف المرخم لأنك لم تحذف إلا وقد علم من تعني به والوصف إنما يجيء للبيان فيصير جامعاً بين ما يقتضي البيان والإبهام، وذلك تناقض. وهذا خلل، لأن المخاطب إنما يكون يعلم أن الاسم حارث أو مالك، فإذا علم اللفظ حذفت...⁵⁹ "

ففي النص السابق جاز للمتكلم أن يحذف آخر المنادى بغية التخفيف أو التلين أو التحجب أو غير ذلك؛ لأنه يوقن أن المحذوف معلوم، فلا ضير من الترخيم، فالمخاطب يعلم عند سماعه ينادي "حار" أنه يقصد "حارث"، وعند سماعه ينادي "مال" أنه يقصد "مالك"، فالفيصل - كما اشترط ابن عصفور - في جواز الترخيم من عدمه الآن موقوف على علم المخاطب بالمحذوف، فإن شعر المتكلم أن المخاطب قد يقع في اللبس عند الحذف، فلا يجوز له آنذاك الترخيم، ف" المتكلم يوائم بين طريقة تعبيره وصياغته للتراكيب والحالة التي يكون عليها المخاطب فإذا اطمأن إلى إقبال المخاطب عليه حذف آخر الاسم تلييناً وتخفيفاً⁶⁰. "

ب- حذف الفعل الذي على معنى الأمر:

من المواضع التي أشار إليها ابن عصفور في حذف الفعل " وأما كل اسم ينتصب بفعل مضمر على معنى الأمر فقد تقدم وهي: انته أمرًا قاصداً، ووراءك أوسع لك، وانتهوا خيرًا لكم، فمنصوب بإضمار فعل لا يجوز إظهاره لدلالة ما قبله عليه، ألا ترى أنك إذا قلت: انتهوا عن كذا، علم أنك تأمر بما هو ضد لما نهيته عنه، فإذا قلت: انته أمرًا قاصداً، فكأنك قلت: وائت أمرًا قاصداً...⁶¹ "

اعتور المثال السابق حذف فعل الأمر، فالمتكلم عمد إلى حذف الفعل؛ لأن ما تقدم من الكلام يمكن المخاطب من أن يستدل على المعنى المحذوف، فيعلم يقيناً مراد المتكلم، ولا يتشتت ذهنه، وبناء على ذلك لا طائل من التصريح به، وهذا ما جعل المتكلم يسكن إلى الاقتصاد في الكلام، إضافة إلى أن هذا الحذف يحقق مقصد المتكلم في حصر تفكير المخاطب بالمذكور⁶².

ج- حذف المخصوص بالمدح والذم:

قال ابن عصفور في حديثه عن " نعم " و " بئس ": " ولا بد لهما أن يذكر معهما اسم الممدوح أو اسم المذموم، ولا بد من ذكر التمييز إذا كان الفاعل مضمرًا، وقد يجوز حذفهما لفهم المعنى. فمن حذف اسم الممدوح لفهم المعنى قوله تعالى: { نعم العبد إنه أواب⁶³ } تقديره: نعم العبد أيوب، فحذف أيوب لفهم المعنى. ومن حذف اسم الممدوح والتمييز معًا قوله صلى الله عليه وسلم: (من توضأ يوم الجمعة فيها ونعمت، ومن اغتسل بالغسل أفضل⁶⁴) فقوله: فيها، أي

فبالرخصة أخذ، وقوله: ونعمت، أي: نعمت رخصة الوضوء. فحذف التمييز وهو رخصة، واسم الممدوح، وهو الوضوء لفهم المعنى⁶⁵. "

يظهر من النص السابق أن ابن عصفور جَوَّز حذف الاسم المخصوص بالمدح والتمييز شرط أن يكونا مفهومين من المعنى، فمن الكلام السابق يتلمس المخاطب المحذوف، ويدرك المعنى المقصود، تُعينه في ذلك عدة أمور. فيلاحظ في الآية الكريمة أن المخاطب تمكّن من معرفة الاسم المخصوص بالمدح من اتكائه على القرينة القولية، فقد جاء ذكر أيوب عليه السلام قبل ذلك في قوله تعالى: {وَأَذْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ⁶⁶} إضافة إلى اتكائه على الموروث الديني، فقصة صبر أيوب عليه السلام معروفة في ثقافة المجتمعات الإسلامية، فالمخزون اللغوي والمعرفي في ذهن المخاطب أسهم في الوقوف على المحذوف بكل سلاسة، فهو "مفهوم من ظروف القول ومن السياق ومن القرائن الموجودة في الآية فاستغنى لأجل ذلك المتكلم عن ذكره في الكلام⁶⁷". وقد أدى الحذف - إضافة إلى الإيجاز - إلى تنشيط ذهن المخاطب، وتخفيفه لربط الكلام بسابقه، مما يشي بقوة تماسك النص وانسجامه.

أما فيما يخص الحديث الشريف فقد ورد الحذف في أمرين: الأول: الاسم المخصوص بالمدح، والثاني: التمييز، ولأن الحذف في موضعين، فقد يتوقع المرء أن فهم المعنى المقصود سيغدو صعباً على المخاطب، بيد أن الكلام المتقدم - إضافة إلى المفاهيم الدينية المشتركة بين المتكلم والمخاطب - ذلل ذاك الحذف وجبر المحذوف، فتبلور المعنى المقصود أمام المخاطب، بل إن الحذف جعل المعنى مستمراً في ذهن المخاطب، والفكرة حاضرة في خلده، فتمكّن من ربط اللاحق بالسابق من غير أن يتشتت المعنى.

د - حذف المبتدأ:

من مواطن الحذف التي أوردها ابن عصفور ما جاء في باب الابتداء، حيث قال: " والمبتدأ ينقسم بالنظر إلى الإثبات والحذف قسمين... وقسم أنت فيه بالخيار، وهو كل مبتدأ لو حذف كان له ما يدل عليه نحو قولك: المسك، إذا شممت رائحته، تريد: هذا المسك، وإن شئت أظهرت المبتدأ⁶⁸ "

يبدو أن رؤية المخاطب للمتكلم قد أسهمت في إنشاء العملية التواصلية، وأغنت عن ذكر المبتدأ، " فدلالة الحال تقوم بدور تواصلية بين المتكلم والمخاطب، وهذه الدلالة يستمدّها المتكلم من المقام ومكوناته، فتصبح له السلطة في التصرف بالكلام وتغيير الألفاظ من أجل إيضاح المعاني التي يجزم المتكلم جزئاً مطلقاً أنها تصل إلى المخاطب على حسب ما يريد⁶⁹. " فعندما رأى المخاطب المتكلم يقترب من العطر ويشمه، ثم يكتفي بكلمة واحدة، تتمثل في: المسك، فهم من هذا المقام أنه يعني: هذا المسك، فاسم الإشارة المحذوف من الكلام الحاضر في ذهن أراد من وراءه المتكلم أن يعرف المخاطب شيئاً يجهله، كما أن معايشة المخاطب للحدث، ومعاينته للموقف مكّنته من معرفة المحذوف، من غير أن يؤثر هذا الحذف في فهم المعنى أو ضياع القصد. فالتكلم مطمئن إلى أن المخاطب عالم بالمحذوف، وقادر على أن يصل إلى مقصده من غير لبس لذلك لم يتردد في الحذف، واختصار الكلام، وجعل اهتمام مخاطبه منصباً على المسك فقط. يقول الشاوش: " للمخاطب دور مركزي في عملية الحذف، فهو الذي يوجهها ويتحكم فيها، فالحذف عملية لا يجريها المتكلم إلا وهو يقرأ فيها حساباً للمخاطب⁷⁰. "

هـ - الحذف في باب ظن:

من المواضع التي حسن فيها ابن عصفور الحذف للمتكلم قوله في باب الفاعلين والمفعولين الذي يفعل كل واحد منهما بصاحبه مثل ما يفعل به الآخر: " فإن كان المنصوب لا يجوز حذفه أصلاً، وذلك كأحد مفعولي ظننت وبابه ففيه

للتحويين ثلاثة مذاهب...منهم من ذهب إلى أنه يُحذف إذ الحذف في هذا الباب إنما هو حذف اختصار لأنه حذف لفهم المعنى، وحذف الاختصار في باب ظننت قد تقدم الدليل على أنه يجوز. وهو أصح المذاهب... وذلك نحو ظنني وظننت زيدًا قائمًا.⁷¹

يظهر من النص السابق أن ابن عصفور أجاز للمتكلم الحذف، وفضله على غيره من المذاهب، وسوّج ذلك بأمرين: أولهما يتعلق بالمتكلم، فغرضه الاختصار. ف"كثير من أنواع الحذف في التراكيب تنتج عن رغبة المتكلم في الإيجاز والاختصار، ذلك أن الإيجاز فضلا عما فيه من تخفيف يكسب العبارة قوة، ويجنبها ثقل الاستطالة، وترهلها".⁷² ويتمظهر ذلك جليًا في تقديرات المذهبين اللذين أشار إليهما ابن عصفور، فلو أضمر المتكلم أحد مفعولي "ظننت" قبل الذكر لكان التقدير: ظنني وظننت زيدًا قائمًا. ولو أضمره وأخره لقال: ظنني وظننته زيدًا قائمًا إياه. ولا يخفى ما في هذين التقديرين من ترهل في العبارة، واستطالة في القول ربما تجعل المخاطب ينفر من الإنصات، أو على الأقل يشعر باضطراب الفكرة في ذهنه، وتشتت المعنى. أما الاختصار فيأمن معه المتكلم أن المخاطب يتلقف ما يريد أن يخبره به بسهولة ووضوح.

وثانيهما يتعلق بالمخاطب، فعندما يسمع المتكلم يتلفظ بـ: "ظنني وظننت زيدًا قائمًا". يفهم المقصود مباشرة، ولا يخالجه أي لبس في المعنى المراد، بل إن الاختصار - كما سبقت الإشارة - هو ما جعله واضحًا. رابعًا - الإيهام على المخاطب:

ليست كل المواقف التواصلية تفرض على المتكلم أن يكون شفافًا مع مخاطبه، صريحًا في حديثه معه، بل إنها تخضع إلى ملابسات الموقف الكلامي والظروف الاجتماعية والسياسية وغيرها المحيطة بالعملية التواصلية، فقد يعتمد المتكلم إلى الإيهام على المخاطب، أو جعله يشكك في أمر ما لغايات في نفسه، ولتحقيق هذه المقاصد يلجأ إلى النظام اللغوي الذي يحتوي على أدوات تلبي هذا الغرض، ف"صانع اللغة يتصرف فيها ويرسم ملاحظها ويحدد هيأتها قبل انتقلها إلى المخاطب، وهذا من سعة المجال الذي تتحرك فيه اللغة العربية".⁷³ ومن تلك الأدوات المستخدمة في شرح الجمل:

أ- أو التي تفيد التشكيك

ذكر ابن عصفور أن "أو" تأتي لمعنى "الإيهام: نحو قولك: قام زيد أو عمرو، وأنت تعلم القائم منهما إلا أنك أبهمت على المخاطب".⁷⁴

يهدف المتكلم في بعض المواقف إلى إخفاء الحقيقة عن المخاطب، أو تقديم أكثر من معلومة له، على الرغم من أنه يعلم علم اليقين الحقيقة، لكنه "يتعمد في عدم إثبات الحكم وينسبه إلى أحد المتعاطفين دون التصريح بهما وهو عالم بمضمون الخبر غير شاك فيه، وإنما يبغي من وراء ذلك أن لا يفصح تمام الإفصاح عنه للمخاطب ويوهمه من خلال توجيه ذهنه إلى أكثر من احتمال".⁷⁵ وهذا لغايات في نفسه، فقد يكون مقصده أن يشوش عليه، ويشتت انتباهه، أو يمنعه من اتخاذ قرار صارم، أو يجعله في حيرة من أمره، أو غير ذلك بحسب ما تمليه عليه ملابسات العملية التواصلية. فالتكلم يقوم بوظيفة مهمة تبرز مركزيتها "في أن القصد (الغرض والنية) الذي يتوخى تحقيقه يشكل ركنًا خاصًا من أركان معنى المقال بحكم فحوى العبارة ومعناها معًا".⁷⁶

ب- إما التي تفيد التشكيك

قد يأتي المتكلم بـ "إما" أيضًا للإيهام على المخاطب، قال ابن عصفور: "وأما" إما "فلها ثلاثة معان...الإيهام: نحو قولك: قام إما زيد وإما عمرو، إذا كنت قد علمت القائم منهما إلا أنك قصدت الإيهام على المخاطب".⁷⁷

يُقال في "إما" ما قيل في "أو"، إلا أن هناك فرقاً يسيراً، يوضح دقة العربية، وإتاحتها للمتكلم أدوات وأساليب يعبر بها عن مقاصده المختلفة، فقد قال صاحب المقتضب: "و"إما" في الخبر بمنزلة "أو" وبينهما فصل. وذلك أنك إذا قلت: جاءني زيد أو عمرو، وقع الخبر في زيد يقيناً حتى ذكرت "أو" فصار فيه وفي عمرو شك، و"إما" تبتدئ بها شاكاً. وذلك قولك: جاءني إما زيد، وإما عمرو، أي أحدهما⁷⁸."

فحينما أراد المتكلم أن يوهم المخاطب منذ البداية أنه واقع في الشك ولا يدري من جاء أزيد أم عمرو، استخدم "إما"، أما إذا أراد أن يوهمه أنه يعلم بداية من جاء علم اليقين، غير أن الشك خامره بعد ذلك لجأ إلى استخدام "أو". فالتكلم أدخل الشك إلى قلب المخاطب مع إما منذ البداية، أما مع أو فقد جعله يعايش حالتي اليقين والشك. ولعل الحالة الأخيرة أصعب على نفسية المخاطب من الأولى في بعض الأحيان، فبعد أن يكون المرء اطمأن إلى أمر ما، عاد الشك إليه. فالتكلم الآن لم يكتف بإيهام المخاطب، وإنما تلاعب في نفسيته.

ج- الفعل المبني للمجهول

أشار ابن عصفور إلى أن الفاعل -وهو ركن أساسي في الكلام- قد يحذف من الكلام لأسباب عدة، فقال: "فأما السبب الذي لأجله حذف الفاعل فهو إما للعلم به... أو للإيهام نحو: ضُرب زيد، وأنت عالم بالضارب إلا أنك قصدت الإيهام على السامع⁷⁹."

وضَّح ابن عصفور في النص السابق أن المتكلم قد يعتمد على حذف الفاعل قصد الإيهام على السامع، فأحياناً يبتغي المتكلم أن يخفي الحقيقة عن المخاطب في مواقف معينة، فيضعه في حالة من الإيهام والغموض، ومرد ذلك مقاصد مختلفة "فالتكلم في هذا المقام يضمّر خفايا في نفسه قادته إلى عدم التصريح بالفاعل فتعمد عدم ذكر من قام بالفعل المذكور في الجملة وإخفاء اسمه عن المخاطب لأمر يتعلق بطبيعة العلاقة التي تربط ذلك الفاعل بكل منهما⁸⁰". فقد يخاف المتكلم على الفاعل من المخاطب إذا كان ذا سلطة وقوة، أو ربما يخشى أن يثير فتنة بينهما، أو لعل الأمر يتعلق بالمخاطب حصراً، فيريد من وراء هذا الإيهام أن يوقعه "في حيرة وتفكر واستعظام لما قرع سمعه فلا تزال نفسه تنزع إليه وتشتاق إلى معرفته والاطلاع على كنه حقيقته⁸¹".

خامساً- مراعاة أحكام التقديم والتأخير، والاتباع والقطع، وفقاً لعلم المخاطب أو جهله:

يتوخى المتكلم من النظام اللغوي ما يتماشى مع ملابسات خطابه، فيعوّل على أمور كثيرة، على رأسها حال المخاطب عند إلقاء كلامه، فيضع في حسابه مدى علمه بما سيأتي به أو جهله، وبناء على ذلك يتخير الترتيب الأمثل لعناصر عبارته فيتحرى التقديم والتأخير، ويتحكم في الاتباع والقطع بين الصفات، وقد أحاط بذلك ابن عصفور في الكتاب القائم وتفصيله فيما يأتي:

أ- التقديم والتأخير بين المبتدأ والخبر

ورد في باب الابتداء "وإذا اجتمع في هذا الباب اسمان فلا يخلو أن يكونا معرفتين أو نكرتين أو أحدهما معرفة والآخر نكرة، فإن كانا معرفتين جعلت الذي تقدر أن المخاطب يعلمه مبتدأ، والذي تقدر أن المخاطب يجهله خبراً، وذلك نحو قولك: زيد أخو عمرو، إذا قدرت أن المخاطب يعلم زيداً ويجهل أنه أخو عمرو، فإن قدرت أن المخاطب يعلم أخا عمرو، ويجهل أنه مسمى بزيد قلت: أخو عمرو زيد. وذلك أن المستفاد عند المخاطب إنما هو ما كان يجهله، والخبر هو محل الفائدة، فلذلك جعلت الخبر هو المجهول منهما⁸²".

ربط ابن عصفور التقديم والتأخير بالمخاطب، فعلى الرغم من أن المتكلم هو منشئ العملية التواصلية إلا أنه مقيد في تركيب الجملة بالمخاطب "فما تكلم أحد إلا وأشرك معه المخاطب في إنشاء كلامه، كما لو كان يسمع كلامه بأذن غيره، وكان الغير ينطق بلسانه"⁸³. "فيتوجب على المتكلم أن يقدر ما يعلمه المخاطب فيجعله مبتدأ، ويقدر ما يجهله فيجعله خبراً، "فالمتكلم يقدر ما هو قائم في نفس المخاطب بما تقدم من المقال أو بما يتوفر بالعرف أو شهادة الحال ثم يختار الأسلوب المناسب"⁸⁴. "وبذلك يضمن وصول مقصده إلى المخاطب، ويلاحظ أن ابن عصفور قد أولى أهمية عظيمة لمعرفة المخاطب، فجعل المعرفة عند المتكلم بمنزلة النكرة إذا كان المخاطب يجهلها، وعبارته: "لأن الاسم إنما يكون معرفة إذا كان معلوماً عند المخاطب كما هو عند المتكلم. وأما إذا كان معلوماً عند المتكلم مجهولاً عند المخاطب فهو نكرة."⁸⁵، فعلم المخاطب أو جهله هو المعول عليه في التعريف أو التنكير، وما يترتب على ذلك من وجوب التقديم أو التأخير في بنية الجملة.

ب- التقديم والتأخير بين الفاعل والمفعول

قال ابن عصفور في باب "وقد يجوز تقديم المفعول على الفاعل، وذلك بشرط أن يكون في الكلام إعراب مبين، نحو: ضرب زيداً عمر، أو معنى مبين، نحو: أكل كمشى موسى، أو تابع مبين، نحو: ضرب موسى الكريم عيسى العاقل، أو لفظ مبين، نحو: ضربت موسى سلمى، لأن التاء علامة التأنيث، فإن لم يكن في الكلام شيء من ذلك، فالفاعل هو المقدم، والمفعول هو المؤخر"⁸⁶.

يظهر من الفقرة السابقة أن المعول عليه أولاً وآخرًا في تقديم المفعول على الفاعل، هو وضوح العبارة للمخاطب الذي يشغل مركزاً مهماً في العملية الاتصالية، "فمراعاته ومراعاة مقامه وجلب انتباهه مما يؤثر في تركيب الجمل وحشر مكوناتها وفق ترتيب معين، كما أن عدم اعتبار المخاطب قد يؤدي إلى خلق حالة فيه معاكسة تماماً لما كان المتكلم يروم فيه"⁸⁷. "فلأجله يراعي المتكلم صياغة عباراته، ويجتهد في تحري الأسلوب الأنسب، والبناء الأوضح لإيصال مقاصده من غير أن ينحرف معناها أو يتنازعها اللبس والغموض.

ج- الإتيان والقطع:

عول ابن عصفور على علم المخاطب في بعض الأحكام، من ذلك قوله في باب النعت: "وإن كانت الصفة صفة مدح أو ذم أو ترحم وكان الموصوف معلوماً عند المخاطب جاز الإتيان والقطع..."⁸⁸

بيّن الشارح أن المتكلم يعتمد من وراء استثماره للنعت إلى تحقيق مقاصد مختلفة، فقد يأتي به للمدح أو للذم أو لغير ذلك بحسب ما تمليه عليه الظروف المحيطة، وقد يلجأ إلى القطع شرط أن يكون هذا المنعوت معلوماً عند المخاطب بما اشتهر من أمر فضله أو سوءه أو سوى ذلك، ف"في الافتتان لمخالفة الإعراب وغير المؤلف زيادة تنبيه وإيقاظ للسامع، وتحريك من رغبته في الاستماع سيما مع التزام حذف الفعل أو المبتدأ فإنه أدل دليل على الاهتمام."⁸⁹، فتركيز المتكلم على المخاطب في هذا الأسلوب يبدو مضاعفاً، حيث إن حذف العامل من ناحية، ومخالفة الحركة الإعرابية من ناحية ثانية، يجعل المخاطب متنبهاً إليه، ومنجذباً إلى سماع كلامه، فيمحس في ربط النعت بالمنعوت، ويتأمل في المعنى المنبثق من ذلك.

الخاتمة:

توصلت الدراسة في نهاية المطاف إلى النتائج الآتية:

- تتكامل العملية التواصلية بإنجاز المتكلم لخطابه، وتوجيهه للأساليب التي تفي بتحقيق مقاصده من ناحية، وتناول المخاطب لكلامه، وتلقف مراده من ناحية أخرى، وتؤتي ثمارها بالتفاعل الناتج بينهما.

- حفل شرح الجمل بأصول تداولية، فاهتم بالتواصل بين منتجي الخطاب وملايساته، فركز في مواضع عدة على مقاصد المتكلم وأحوال المخاطب، وإن لم يرق إلى أن يشكل نظرية قائمة برأسها.
- يتكفل المتكلم بتوصيل مقاصده بدقة إلى المخاطب، فيلجأ إلى أساليب متنوعة من شأنها إزالة اللبس الذي يمكن أن يعتري الخطاب، نحو: التوكيد والاستثناء والبدل.
- يلون المتكلم في الإستراتيجيات التي يستند إليها في خطابه، فيعتمد إلى استثمار وحدات معجمية تحمل وظائف تداولية من شأنها أن تخلف أثرا في المخاطب.
- لا يمكن للمخاطب أثناء الكلام أن يستمر على حال واحدة، فيتقلب بين اليقظ إلى الساهي، وحتى يضمن المتكلم إقباله عليه يسعى إلى تنبيهه كلما اقتضت الحاجة بطرائق مختلفة.
- يمكن للمتكلم أن يحذف من الكلام ما لا يجد فيه حاجة إذا اطمأن إلى أن ذلك لن يوقع المخاطب في اللبس.
- قد يعتمد المتكلم إلى الإيجاز على المخاطب، أو جعله يشكك في أمر ما لغايات في نفسه.
- يراعي المتكلم عند إلقاء كلامه أحكاما شتى، نحو: التقديم والتأخير، والاتباع والقطع، وذلك وفقا لعلم المخاطب أو جهله، فيتخير الترتيب الأمثل لصياغة عباراته.

الهوامش:

- ¹ الغريبي، أبو العباس أحمد بن أحمد. عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية، تحقيق: عادل نويهض، ط2، دار الآفاق الجديدة، بيروت، 1979، ص 318
- ² جاكسون، رومان. قضايا الشعرية، ترجمة: محمد الولي ومبارك حنون، ط1، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، 1988، ص 27
- ³ زين، رانيا رمضان أحمد. اللسانيات التواصلية وجذورها في التراث النحوي العربي، ط1، دار جليس الزمان، الأردن، 2015، ص39-40
- ⁴ بوجملين، لبوخ، و الطيب، شيباني. العناصر التداولية التواصلية في العملية التعليمية، مجلة الأثر، جامعة قاصدي مرباح ورقلة، الجزائر، ع 10، 2011، ص 70
- ⁵ اللسانيات التواصلية وجذورها في التراث النحوي العربي، ص 40
- ⁶ الشهري، عبد الهادي، إستراتيجيات الخطاب مقارنة لغوية دلالية، ط1، دار الكتاب الجديد المتحدة، لبنان، ص48
- ⁷ القضماني، رضوان. والعكش، أسامة. نظرية التواصل: المفهوم والمصطلح. مجلة جامعة تشرين، سوريا، مج 29، ع 1، 2007، ص 142
- ⁸ ينظر العناصر التداولية التواصلية في العملية التعليمية، ص 71، واللسانيات التواصلية وجذورها في التراث النحوي العربي، ص41
- ⁹ إستراتيجيات الخطاب مقارنة لغوية دلالية، ص vi
- ¹⁰ اللسانيات التواصلية وجذورها في التراث النحوي العربي، ص 42
- ¹¹ الغزالي، عبد القادر. اللسانيات ونظرية التواصل: رومان ياكسون نموذجًا، ط1، دار الحوار للنشر والتوزيع، سوريا، 2003، ص24-25
- ¹² بنكراد، سعيد. إستراتيجيات التواصل من اللفظ إلى الإيماءة، مجلة علامات، المغرب، ع 21، 2004، ص 9
- ¹³ للتوسع في الوظائف ينظر قضايا الشعرية، ص 28-31، ونظرية التواصل: المفهوم والمصطلح. ص143-145، والركيك، محند. نظرية التواصل في ضوء اللسانيات الحديثة، مجلة علامات، المغرب، ع 24، 2005، ص69-72
- ¹⁴ إستراتيجيات التواصل من اللفظ إلى الإيماءة ص10

15 جاكبسون 28

16 ابن مالك، محمد بن عبد الله. شرح التسهيل، تحقيق: عبد الرحمن السيد ومحمد بدوي مختون، ط1، دار هجر، مصر، 1410-1990 / 1 / 6، وابن عصفور، علي بن مؤمن. شرح جمل الزجاجي: الشرح الكبير، تحقيق: صاحب أبو جناح، ط1، وزارة الاوقاف

والشؤون الدينية / إحياء التراث الإسلامي، العراق، 1402 – 1982، 1 / 87

17 شبير، علي بن موسى. إرادة المتكلم ومقاصد الكلام في كتاب سيبويه (مقاربة تداولية)، مجلة اللسانيات العربية، مركز الملك عبد الله بن عبد العزيز الدولي لخدمة اللغة العربية، السعودية، ع 4، 1438-2016، ص 78

18 إستراتيجيات الخطاب مقارنة لغوية دلالية، ص 180

19 إرادة المتكلم ومقاصد الكلام في كتاب سيبويه (مقاربة تداولية)، ص 92-93

20 اللسانيات التواصلية وجذورها في التراث النحوي العربي، ص 72، وأبو نواس، عمر محمد. علم المخاطب بين التوجيه النحوي والتداولية، المجلة الأردنية في اللغة العربية وآدابها، مج 7، ع 2، 1432-2011، 121

21 الخالدي، كريم حسين ناصح. مراعاة المخاطب في الأحكام النحوية في كتاب سيبويه، مجلة المورد العراقية، ع 3، 2002، ص 28

22 اللسانيات التواصلية وجذورها في التراث النحوي العربي، ص 41

23 الشاوش، محمد. أصول تحليل الخطاب في النظرية النحوية العربية، ط1، المؤسسة العربية للتوزيع، تونس، 2001، 898 / 2

24 علم المخاطب بين التوجيه النحوي والتداولية، المجلة الأردنية في اللغة العربية وآدابها، ص 102

25 شرح الجمل 1 / 194

26 السابق 295/1

27 الخفاجي، بان. مراعاة المخاطب في النحو العربي، ط1، دار الكتب العلمية، لبنان، 2008، ص 132

28 بلحبيب، رشيد. أثر العناصر غير اللغوية في صياغة المعنى، مجلة اللسان العربي، المغرب، ع 47، 1999، ص 240

29 شرح الجمل 295/1

30 تغراوي، يوسف. نظرية التواصل وإشكالية المعرفة المشتركة، takhatub.ahlamontada.com

31 شرح الجمل 279/1-280

32 مراعاة المخاطب في النحو العربي، ص 167

33 شرح الجمل 1 / 263

34 أصول تحليل الخطاب في النظرية النحوية العربية، 898/2

35 مراعاة المخاطب في النحو العربي، ص 157

36 أي ليس ولا يكون

37 شرح الجمل 2 / 261

38 الرضي، محمد بن الحسن الإستراباذي. شرح الكافية، تصحيح وتعليق: يوسف حسن عمر، ط2، منشورات جامعة قابوس،

بنغازي، 1996، 2 / 77

39 سيبويه، عمرو بن عثمان. الكتاب، تحقيق: عبد السلام هارون، ط3، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1988، 2 / 347

40 شرح الجمل 1 / 283

41 شرح الجمل 1 / 194-195

42 نظرية التواصل وإشكالية المعرفة المشتركة takhatub.ahlamontada.com

43 إستراتيجيات الخطاب مقارنة لغوية دلالية 486-487

- ⁴⁴ شرح الجمل 1/ 263
- ⁴⁵ الزمخشري، محمود بن عمر. المفصل في علم العربية، تحقيق: فخر صالح قدارة، ط1، دار عمار، الأردن، 1425-2004، ص115
- ⁴⁶ مراعاة المخاطب في الأحكام النحوية في كتاب سيبويه، ص19
- ⁴⁷ شرح الجمل 2/ 82
- ⁴⁸ ابن جني، عثمان. الخصائص، تحقيق: محمد علي النجار، (د.ط)، دار الكتب المصرية، القاهرة، (د.ت) 196/2
- ⁴⁹ ابن يعيش، علي. شرح المفصل، تحقيق: إميل بديع يعقوب، ط1، دار الكتب العلمية، لبنان، 1422-2001، 51/5
- ⁵⁰ مراعاة المخاطب في الأحكام النحوية في كتاب سيبويه، ص19
- ⁵¹ إستراتيجيات الخطاب مقارنة لغوية دلالية، 360
- ⁵² مراعاة المخاطب في النحو العربي، ص240
- ⁵³ سيبويه 2/ 229-230
- ⁵⁴ الزمخشري، محمود بن عمر. الكشف، تحقيق خليل مأمون شيحا، ط3، دار المعرفة، لبنان، 1430-2009، 56/1
- ⁵⁵ شرح الجمل 1/ 377-378
- ⁵⁶ سيبويه 2/ 78
- ⁵⁷ اللسانيات التواصلية وجذورها في التراث النحوي العربي، 87
- ⁵⁸ للتوسع في أغراض الحذف ينظر: حمودة، طاهر سليمان. ظاهرة الحذف في الدرس اللغوي، الدار الجامعية، الإسكندرية، 1999، ص95-112
- ⁵⁹ شرح الجمل 2/ 122
- ⁶⁰ مراعاة المخاطب في النحو العربي، ص249
- ⁶¹ شرح الجمل 2/ 420
- ⁶² ظاهرة الحذف في الدرس اللغوي، ص108
- ⁶³ ص38/44، تمام الآية: {وَأَخَذَ بِيَدِكَ ضِعْفًا فَأَضْرَبَ بِهِ وَلَا تَحْنُتْ ۖ إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا ۖ نَعْمَ الْعَبْدُ ۚ إِنَّهُ أَوَّابٌ}
- ⁶⁴ أبو داود، سليمان بن الأشعث. السنن، تحقيق: شعيب الأرنؤوط و محمد كامل قره بللي، (ط1) دار الرسالة العالمية، دمشق، 1430-2009، 1/ 265، رقم الحديث: 354
- ⁶⁵ شرح الجمل 1/ 602
- ⁶⁶ ص38 / 41
- ⁶⁷ مراعاة المخاطب في النحو العربي، ص261
- ⁶⁸ شرح الجمل 1/ 352-353
- ⁶⁹ علم المخاطب بين التوجيه النحوي والتداولية، ص124
- ⁷⁰ أصول تحليل الخطاب في النظرية النحوية العربية، 2/ 1175
- ⁷¹ شرح الجمل 1/ 616-617
- ⁷² ظاهرة الحذف في الدرس اللغوي، ص100
- ⁷³ مراعاة المخاطب في النحو العربي، ص106
- ⁷⁴ شرح الجمل 1/ 233

- ⁷⁵ مراعاة المخاطب في النحو العربي، ص 162
- ⁷⁶ المتوكل، أحمد. المنهج الوظيفي في البحث اللساني، ط1، منشورات ضفاف، لبنان، 1437-2016، ص 535
- ⁷⁷ شرح الجمل 1/ 232
- ⁷⁸ المبرد، محمد بن يزيد. المقتضب، تحقيق: حسن حمد، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1420-1999، 1/ 58
- ⁷⁹ شرح الجمل 1/ 534
- ⁸⁰ مراعاة المخاطب في النحو العربي، ص 108
- ⁸¹ يحيى بن حمزة العلوي، الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، تحقيق: عبد الحميد هندراوي، ط1، المكتبة العصرية، بيروت، 1423-2002، 2/ 44
- ⁸² شرح الجمل 1/ 354
- ⁸³ عبد الرحمن، طه. في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، ط2، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء/ بيروت، 2000، ص 50
- ⁸⁴ أصول تحليل الخطاب في النظرية النحوية العربية، 2/ 898
- ⁸⁵ شرح الجمل 2/ 85
- ⁸⁶ السابق 1/ 163
- ⁸⁷ أثر العناصر غير اللغوية في صياغة المعنى، ص 241
- ⁸⁸ شرح الجمل، 1/ 207
- ⁸⁹ العليمي، يس بن زين الدين. حاشية على التصريح بمضمون التوضيح، (د.ط)، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، 1336-1918، 2/ 117
- المصادر والمراجع:
- بلحبيب، رشيد. أثر العناصر غير اللغوية في صياغة المعنى، مجلة اللسان العربي، المغرب، ع 47، 1999
 - بنكراد، سعيد. إستراتيجيات التواصل من اللفظ إلى الإيماءة، مجلة علامات، المغرب، ع 21، 2004
 - بوجملين، لبوخ، والطيب، شيباني. العناصر التداولية التواصلية في العملية التعليمية، مجلة الأثر، جامعة قاصدي مرباح ورقلة، الجزائر، ع 10، 2011
 - تغزاوي، يوسف. نظرية التواصل وإشكالية المعرفة المشتركة، takhatub.ahlamontada.com
 - جاكبسون، رومان. قضايا الشعرية، ترجمة: محمد الولي ومبارك حنون، ط1، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، 1988
 - ابن جني، عثمان. الخصائص، تحقيق: محمد علي النجار، (د.ط)، دار الكتب المصرية، القاهرة، (د.ت)
 - حمودة، طاهر سليمان. ظاهرة الحذف في الدرس اللغوي، الدار الجامعية، الإسكندرية، 1999.
 - الخالدي، كريم حسين ناصح. مراعاة المخاطب في الأحكام النحوية في كتاب سيبويه، مجلة المورد العراقية، ع 3، 2002
 - الخفاجي، بان. مراعاة المخاطب في النحو العربي، ط1، دار الكتب العلمية، لبنان، 2008
 - أبو داود، سليمان بن الأشعث. السنن، تحقيق: شعيب الأرنؤوط و محمد كامل قره بللي، (ط1) دار الرسالة العالمية، دمشق، 1430-2009
 - الرضي، محمد بن الحسن الإستراباذي. شرح الكافية، تصحيح وتعليق: يوسف حسن عمر، ط2، منشورات جامعة قابوس، بنغازي، 1996
 - الركيك، محند. نظرية التواصل في ضوء اللسانيات الحديثة، مجلة علامات، المغرب، ع 24، 2005
 - زين، رانيا رمضان أحمد. اللسانيات التواصلية وجذورها في التراث النحوي العربي، ط1، دار جليس الزمان، الأردن، 2015

- الزمخشري، محمود بن عمر.
- الكشاف، تحقيق خليل مأمون شيخا، ط3، دار المعرفة، لبنان، 1430-2009
- المفصل في علم العربية، تحقيق: فخر صالح قدارة، ط1، دار عمار، الأردن، 1425-2004،
- سبيويه، عمرو بن عثمان. الكتاب، تحقيق: عبد السلام هارون، ط3، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1988
- الشاوش، محمد. أصول تحليل الخطاب في النظرية النحوية العربية، ط1، المؤسسة العربية للتوزيع، تونس، 2001
- شبير، علي بن موسى. إرادة المتكلم ومقاصد الكلام في كتاب سبيويه (مقاربة تداولية)، مجلة اللسانيات العربية، مركز الملك عبد الله بن عبد العزيز الدولي لخدمة اللغة العربية، السعودية، ع 4، 1438-2016
- الشهري، عبد الهادي، إستراتيجيات الخطاب مقارنة لغوية دلالية، ط1، دار الكتاب الجديد المتحدة، لبنان
- عبد الرحمن، طه. في أصول الحوار وتحديد علم الكلام، ط2، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء/ بيروت، 2000
- ابن عصفور، علي بن مؤمن. شرح جمل الزجاجي: الشرح الكبير، تحقيق: صاحب أبو جناح، ط1، وزارة الاوقاف والشؤون الدينية / إحياء التراث الإسلامي، العراق، 1402 – 1982
- العليمي، يس بن زين الدين. حاشية على التصريح بمضمون التوضيح، (د.ط)، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، 1336-1918
- الغبريني، أبو العباس أحمد بن أحمد. عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية، تحقيق: عادل نويهض، ط2، دار الآفاق الجديدة، بيروت، 1979
- الغزالي، عبد القادر. اللسانيات ونظرية التواصل: رومان ياكبسون نموذجًا، ط1، دار الحوار للنشر والتوزيع، سوريا، 2003
- القضياني، رضوان. والعكش، أسامة. نظرية التواصل: المفهوم والمصطلح. مجلة جامعة تشرين، سوريا، مج 29، ع 1، 2007
- ابن مالك، محمد بن عبد الله. شرح التسهيل، تحقيق: عبد الرحمن السيد ومحمد بدوي مختون، ط1، دار هجر، مصر، 1410-1990
- المبرد، محمد بن يزيد. المقتضب، تحقيق: حسن حمد، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1420-1999
- المتوكل، أحمد. المنهج الوظيفي في البحث اللساني، ط1، منشورات ضفاف، لبنان، 1437-2016
- أبو نواس، عمر محمد. علم المخاطب بين التوجيه النحوي والتداولية، المجلة الأردنية في اللغة العربية وآدابها، مج 7، ع 2، 1432-
- 2011
- يحيى بن حمزة العلوي، الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، ط1، المكتبة العصرية، بيروت، 1423-2002
- ابن يعيش، علي. شرح المفصل، تحقيق: إميل بديع يعقوب، ط1، دار الكتب العلمية، لبنان، 1422-2001